

## على الخلاف

هذه انطلاقاً من العمليات العسكرية الروسية في سوريا، تغير المشهد عملياً. المناخات الايجابية ظاهرة للعيان لكل زائر إلى دمشق، إضافة إلى الجمهور المتفانك بان تقود المشاركة الروسية إلى إنهاء الازمة، فإن الأكثر تفاعلاً، ضباط الجيش السوري وجنوده الذين يلمسون نتائج العمليات الروسية، ويتحدثون عن عمليات تنسيق، أمنية وعسكرية ولوجستية، تسمح بالحديث عن متغيرات كبيرة قابلة للتحقق،

# روسيا في سوريا: المتوسط ليس أطلسياً

## فراس الشوفي

تزامن استقبال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين نظيره التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الفلسطيني محمود عباس للمشاركة في افتتاح «مسجد موسكو الكبير» نهاية أيلول الماضي، مع زيارة البابا فرنسيس للبيت الأبيض ولقاء الرئيس الأميركي باراك أوباما، في لقاء هو الـ 29 بين رئيس الولايات المتحدة وبابا الفاتيكان. ووصفت وكالة الصحافة الفرنسية الزيارة بأنها «كانت طوال عقود أمراً لا يمكن تصوّره» وأن «أوباما البروتستانتية، لا يخفي إعجابه بالبابا الكاثوليكي، ولا يتردد في الإشادة بفكره الفريد... ومثل هذه التصريحات لم تعد تثير الصدمة». إلا أن زيارة الحبر الأعظم للبيت الأبيض، إذا ما وضعت في سياق حركة فرنسيس منذ توليته الكرسي الرسولي، كانفتاحه على الكنائس البروتستانتية الصغيرة في أوروبا، على الرغم من عدم اعتراف الكنيسة الكاثوليكية بها، فإنه يمكن القول إن «خطوطاً عريضة رسمت بين الفاتيكان والولايات المتحدة بدفع بريطاني، لإبقاء أوروبا في الفلك الاقتصادي والسياسي والأمني الأطلسي، في مقابل الدعوات إلى التكامل الاقتصادي مع روسيا، وخروج دول كالمانيا من الحظيرة الاقتصادية الأميركية إلى الحضن الروسي». على ما تقول مصادر كنسية أرثوذكسية بارزة لـ «الأخبار». ولا يمكن فصل هذا التحالف الجديد عن مجريات الأحداث في أوكرانيا وانفصال شبه جزيرة القرم، حيث

## أي دور للصين؟

على رغم ذكر الرئيس السوري بشار الأسد أن الصين «لا تسهم في مكافحة الإرهاب عسكرياً»، يقول الضابط إن «الصين نسق ثاب في الحرب على الإرهاب، بعد النسق الأول الروسي»، مشيراً إلى «تعاون روسي صيني في نقل المعدات إلى سوريا»، واصفاً بكين بـ «القوة الكامنة للتدخل في مكافحة الإرهاب في حال طلب سوريا، وأنها عازمة على القضاء على الإرهابيين التركستانيين والإيغور ذوي الأصول الصينية». وتشير مصادر أخرى إلى أن «الصينيين قادمون إلى سوريا أولاً لعدم الغياب عن تشكيل الأمن العالمي الجديد، وثانياً لحمل ورشة إعادة الإعمار».

أخذت الحرب بعداً دينياً، يوازي الصراع الاقتصادي وصراع النفوذ. ولا يخفى أن روسيا تنظر إلى المقاتلين المنضوين في الجيش الأوكراني التابع لكيف والميليشيات المتعاونة معه، على أنهم «مزيج من المتطرفين النازيين القوميين، والمتطرفين الكاثوليك»، على ما تقول مصادر دبلوماسية روسية لـ «الأخبار»، فيما تطغى الأرثوذكسية على مقاتلي دانيتسك ولوغانسك، المواليين لروسيا في الشرق الأوكراني. وتتنظر روسيا بعين الريبة إلى «إعادة إحياء العصبية اليمينية المتطرفة في أوروبا ضد الإسلام والملاحين بعد تفاقم أزمة اللجوء، بما يرنّد سلباً على الدور الروسي»، كما تقول المصادر الكنسية.

الصراع الاقتصادي - الأمني على أوروبا، لا يوفّر البحر المتوسط، بل يجعله في عين الصراع الحالي والمقبل لحسم المعركة الأوروبية، خصوصاً في ظلّ أزمات اللاجئين وثروات النفط والغاز الهائلة الكامنة على الحوض الشرقي لبحر «العالم القديم»، وسقوط ليبيا في الفوضى التامة. إلا أنه لا يناسب روسيا أن توضع اندفاعتها العسكرية الأخيرة في سوريا في خانة الحرب الدينية أو المقدسة، وهو ما يشكل مادة دسمة للمعسكر الأميركي للتحريض على الدور الروسي، خصوصاً في ظلّ إشارات أوباما ووزير خارجيته جون كيري في الأيام الماضية إلى أن «روسيا تتحالف مع الشبعة ضد السنة» وأن «بوتن يحول نفسه هدفاً للجهاديين (السنة)».

## روسيا على المتوسط

في أحد مباني رئاسة أركان الجيش السوري، استراق النظر من الممرّ الطويل إلى المكاتب يمينة ويسرة، يسمح بقاء العيون الرزقاء للضباط الروس، وهم يتبادلون الأحاديث والملفات والخرائط مع أقرانهم السوريين. خلف الضابط السوري الرفيع، خريطة جوية كبيرة لمدينة تل أبيب، وصور «بانوراميك» تفصيلية لهضاب وتلال الجولان المحتل والمحزر. المعنويات المرتفعة والتفاؤل بالوجود الروسي ليس خافياً على وجه الضابط الذي يتمسك ببذلة الجيش السوري التقليدية المرقطة.

قبل الدخول في تفاصيل الميدان، يقول

## أركان الجيش السوري ينسقون مع الحلفاء التحضيرات لمعارك كبيرة شمالاً وشرقاً

الضابط لـ «الأخبار» إن «الحضور الروسي في سوريا يكفل عدم تحول المتوسط إلى حديقة أطلسية»، لأنه «لو سقطت سوريا لصار المتوسط أطلسياً». ويجزم الضابط بأن «نتائج المعركة في الشرق ستترسم سياسة العالم الجديد». ويضيف: «لا يمكن أن تغيب روسيا والصين عن معادلات الأمن الإقليمي والعالمي الجديدة». ويحدّد اللواء الفارق بين «الحرب المزعومة» التي تخوضها أميركا باسم «التحالف الدولي» ضد تنظيم «داعش»، وبين الحرب التي بدأت روسيا بخوضها،

مشيراً إلى أن «روسيا تخوض الحرب بجدية للحفاظ على الدولة السورية، بينما يطرح الأميركي نتائج قتال داعش سياسياً، بتغييرات جذرية في شكل المنطقة وأنظمتها».

وتدرك روسيا جيداً أن «الإمساك بعوامل النفوذ عند ساحل المتوسط لن يكون بهذه السهولة. فالأطلسي يمتلك قوات بحرية ألمانية وفرنسية وإيطالية عند السواحل اللبنانية، وهي موجودة بحسب القرارات الدولية... في ظل الدعوات المتكررة أيضاً إلى إعادة فتح مطار القليعات»، لذلك، بحسب الضابط، «تحرص روسيا على أن يكون تحركها أيضاً ضمن إطار شرعية دولية، يكون عنوان الحرب على الإرهاب الذي استخدمته الولايات المتحدة مراراً، العنصر الأساسي فيها».

## الهدف هو الرقعة

ميدانياً، يشير الضابط إلى أن «الغارات الروسية، على رغم تحقيقها نتائج مهمة، لا تزال في إطارها الاستطلاعي

## روسيا «باقية» في سوريا: نحو «جنيف 3»؟

على سلطة الرئيس بشار الأسد، تكون موسكو تقول إن القوى التي يمكن أن تنضوي ضمن تلك الحكومة هي القوى التي يمكن التفاهم معها. من غير الممكن التكهن بالفترة المطلوبة لإنهاء العملية الجوية العسكرية الروسية في سوريا. تشير تقارير خبراء عسكريين في موسكو إلى أن تقويم عمل القوات الجوية الروسية ممكن مع حلول نهاية العام الحالي. هذا ما يفسر كلام صدر عن رئيس لجنة العلاقات الدولية في الدوما الروسية اليكسي بوشكوف حول مدة تراوح بين ثلاثة وأربعة أشهر مهمة عمل تلك القوات. مع حلول رأس السنة، يضيف الخبراء أنفسهم: «ستتضح الصورة ويتضح تحول المشهد، وإلى أي حد نقطة التحول في مسار مسرح العمليات الميدانية ممكنة. لكن الأهم من كل ذلك هو أن روسيا أنشأت القاعدة الجوية في اللاذقية ولا نية لديها للخروج منها. وإضافة إلى القاعدة البحرية في طرطوس، تشير الإنشاءات إلى بناء قاعدة جوية إضافية، ما يفسر نية روسيا بالبقاء في المنطقة لأمد طويل».

من روسيا، وهم في الواقع يعتبرون جميعاً مؤسسي ما يدعى «الدولة الإسلامية»، فيرى خبير روسي أن «قتال روسيا للدولة الإسلامية يجعل أسنانهم تصطك ويمكن من هنا استيعاب سبب الحرب الإعلامية التي دخلت فيها دول الخليج، ولا سيما قطر بشكل فعال». يضيف: «فعلياً، ليس هناك من وجود فعلي لما يسمى جيشاً سورياً حراً. منهم من التحق بقوات الرئيس بشار الأسد، ومنهم من تحول إلى جانب الإسلاميين المتطرفين. ولكن أثبتت التجارب بأي حال أن هناك قوى يمكن التفاهم معها. بعض المجموعات المسلحة في ريف دمشق مثلاً دخلت في معادلة تسوية، دمشق لم تكن تتعرض للقصف مدفعي أو بالهاون إلا بعد سيطرة المجموعات المتطرفة التكفيرية على أماكن حيوية. بشكل أو بآخر، يمكن التفاهم مع بعض القوى على الأرض السورية بينها لجان وميليشيات محلية يجب ويمكن التفاهم معها، وهذا أمر صحي». ويلفت إلى أنه «عندما تتحدث روسيا عن جنيف 3 وعن تشكيل حكومة انتقالية، مع المحافظة

ويقول فلاديمير يفسييف: «أظن في ظل نجاح المساعي الروسية، سيكون في وسع القوات الروسية الجوية العمل في العراق، وفي خطوة مستقبلية في أفغانستان، وهذه بداية إصلاح الوضع الذي أوجدته الولايات المتحدة في كل المنطقة». يضيف الخبراء أن «روسيا مهمة باستقرار هذه المنطقة، ولولا تأييد القوى الحليفة الصديقة لما أقدمت روسيا على هذه الخطوة. روسيا أتت إلى المنطقة لتبقى فيها لزمّن طويل، ولا تنوي الخروج من منها. لكنها لا تريد أن يبدو قتالها من أجل سلطة معينة في مواجهة الآخرين، وهي لن تقاتل السوريين من أجل بشار الأسد. ولا تضع أمام عينها هكذا هدف. الهدف هو مساعدة الجيش الوطني السوري للانتصار على المتطرفين الإرهابيين، أما من هو جاهز للدخول في عملية التفاوض من المعتدلين، سواء أكان اسمه جيشاً سورياً حراً، أم تسميات أخرى وتشكيلات أخرى، فروسيا لا ترى مانعاً من الكلام معهم». أما عن سبب غضب دول تحالف الإرهاب كالولايات المتحدة، السعودية، قطر وتركيا

الهجومية باتجاه منطقة حماه. السبب الثاني الذي أسهم في قرار روسيا تعزيز نشاطها العسكري في سوريا كان اتفاق فيينا النووي في تموز الماضي واتخاذ مجلس الأمن القرار 2231 الذي ينص على إلغاء العقوبات عن إيران. تحررت روسيا من قيود كانت تمنعها من تفعيل تعاونها مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كذلك تحررت إيران من قيود تحركها على الأرض السورية بنحو أوسع، ما شجع روسيا على اتخاذ هذه الخطوة عن قناعة بأنه للتوصل إلى تسوية سلمية في هذا البلد لا بد من تحقيق انتصار مؤثر للجيش الوطني السوري. أما خلال تدهور الجيش فلا يمكن تحقيق أي مسار سلمي بتاتا. ويرى خبراء استراتيجيون روس أن هدف التدخل الروسي هو تحرير نصف البلد، وبعدها البدء في الحوار. يشيرون إلى أن روسيا لا تنظر إلى إنهاء الصراع في سوريا بالقوة العسكرية «فهذا غير ممكن، بل تسعى إلى تحقيق ظروف تسمح بانعقاد جنيف 3 في ظل ظروف انتصارات يحققها الجيش الوطني السوري».

## موسكو - احمد حاج علي

بات واضحاً أن التدخل الروسي في سوريا جاء بعد اتساع رقعة انتشار المتطرفين ودخولهم مناطق كثافة سكانية سورية هذا الصيف، وأصبح 80% من السوريين يعيشون على مساحة 20% من الأراضي السورية التي استطاعت الحكومة توفير حمايتها وتأمينها خدماتياً. وبحسب معطيات خبراء روس، يقطن أكثر من نصف السكان في المناطق التي تديرها الحكومة السورية الشرعية بقيادة الرئيس بشار الأسد. ويقول الخبير العسكري فلاديمير يفسييف إنه عندما اقترب المتطرفون من تلك المناطق، لم يعد بوسع روسيا انتظار أكثر بعد تهديد عشرات آلاف السوريين بخطر التصفية الجسدية على أيدي العصابات الإرهابية المتطرفة. لا شك في أن إنشاء قاعدة عسكرية جوية روسية في اللاذقية أسهم في إنقاذ المدينة والمنطقة من هجمات المتطرفين. كان منتظراً هجوم لجبهة «النصرة» التي غيرت مخططاتها وحولت تحضيراتها